

العَلَاَقَا لَاجِمَةِ فِي الْقُرْآنِ



تأليف
فضيلة الشيخ
عبد الله محمد الجليلي

الباب الأول

- ☐ علاقة الآباء بالأبناء والعكس
- ☐ حقوق ذوي الأرحام.
- ☐ خطر العقوق والقطيعة
- ☐ المواريث وتوزيعها حسب القرابة
- ☐ الغرامات التي يتحملها الأقارب بسبب القرابة

الباب الأول

في صلة الرحم وفيه خمسة فصول

مقدمة :

خلق الله سبحانه وتعالى الإنسان مدنيًا بالطبع والفرد جزء لا يتجزأ من الأسرة والأسرة جزء من المجتمع لا ينفصل الفرد بفطرته البشرية عن أصوله وفروعه وبمقدارها يكون له نصيب! تزيد هذه العاطفة في ذهن الإنسان وبمقدار بعده عن هذا الأصل تضعف العاطفة حتى إنك لتلاحظ تغلب بعض العواطف الحيوانية على عاطفة الإنسان حينما تسيطر عليه المادية المطلقة. فمثلاً في بعض المجتمعات الغربية التي انغمست في الرزيلة وتمزقت فيها الأسرة لا تكاد تجد أي عاطفة بين الأب والابن أو البنت وهذا يتميز في أمور: أهمها تكليف الولد وحتى البنت بنفقته الخاصة على نفسه في بيت أبيه وأمه حينما يبلغ السن القانون ثماني عشرة سنة، حتى أن البنت في هذا السن تلزم بالخروج من البيت لتختار لها سكناً خاصاً، وهذا كثيراً ما يكون على حساب شرفها وكرامتها، حينما تعجز عن الحصول على النفقة بطريقة شريفة، أو حينما تسكن بعيداً عن أهلها.

أمر آخر يلاحظ ضعف هذه العاطفة الفطرية حينما يتم اللقاء بين أفراد الأسرة بعد غيبة طويلة بين الأب والابن، بل حتى بين الأم والابن أو البنت،

بالرغم من شدة هذه العاطفة بين النساء، حيث يلاحظ برود عاطفي في المقابلة ولا تجد شيئاً من الحرارة العاطفية عند هذا اللقاء، فلا يعدو إشارة باليد أو هزاً للرأس، وقد حدثني أحد رجال الثقافة الأوربيين (إنجليزي الجنسية) اعتنق الإسلام، وهو أستاذ بجامعة لندن، فسأله ما الذي دفعك إلى الإسلام، فذكر لي قصة تأثره حينما عاش مدة من الزمن بالكويت مع أسرة مسلمة كان للعاطفة الإسلامية الأثر الوحيد في استقامته - بعد توفيق الله سبحانه - يقول كنت أبحث عن موقع هذه العاطفة التي أحن إليها ولم أجدها في حياتي، حتى سكنت بالكويت فرأيت الأبناء في كل صباح يقبلون رؤوس آبائهم وأمهاتهم، فوجدت ضالتي. فكنت ألتقي بأبي وأبي بعد غيبة طويلة تستغرق سنوات ألتقي بهم في المقهى ولا تزيد تحيتنا عن الإشارة باليد أو الرأس بسرعة خاطفة، هذا بعد الغيبة الطويلة.

أسباب ضعف هذه العاطفة عند غير المسلمين:

لعل من أهم أسباب ضعفها أمور أهمها:

١ - ضعف الرابطة الزوجية، فهي لا تقوم غالباً على الميثاق الغليظ الذي ذكره الله سبحانه. أما اللقاء بدافع شهوة جنسية ربما ينتهي بعد سنوات بالعقد بقدر ما تسير الأمور.

٢ - الرابطة في تلك العلاقات الزوجية جنسية بحتة، لا تمت إلى المودة والرحمة بصلة، أما في الإسلام فالعلاقة ﴿وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً﴾^(١)، وهذا يؤثر على الناشئة.

٣ - الطفل قد لا تعرفه أمه بعد الوضع، فهو غالباً آخر عهدا به حتى يكبر ويصلب عوده، فالحاضنة تستلم هذا الطفل منذ ساعة الولادة، ثم ينتقل إلى رياض الأطفال، أو إلى الملاجيء، ولربما لا لمس هذا الطفل حضن

(١) سورة الروم.

والدته ولا يذوق حليبها الدافئ الحلو، ولذلك كادت أن تنجح الشيوعية من هذا الجانب حينما عزلت الأطفال عن آبائهم ليكونوا أبناءاً للدولة فقط، والرجل والمرأة وسيلة تفريخ فقط لاحظ لهما في الأطفال إلا تلك الشهوة حينما فرغت من الرجل للمرأة.

٤ - إضافة إلى عظمة هذا الدين حينما نمتى هذه العاطفة وأولاهها العناية التامة، ثم حولها إلى بر وصلة واجبة الرعاية بين المسلمين، وأمر بحفظها رذاً للجميل، وتمشياً مع الفطرة البشرية التي فطر الله الناس عليها، فجاءت وفق حكمة ربانية تختلف تماماً عن أي منهج آخر، لذلك لا تعجب يا أخي حينما ترى في المذهب الهندوكي تفضيل البقرة على الأم، كما هو مذهب نهرو وقومه حينما يقارن لك بين البقرة والأم يعتبر البقرة أقرب من الأم.

إذاً الإسلام يهتم بالأسرة اهتماماً بالغاً، ويفرض صلة الرحم ويعتبر حق الوالدين بعد حقه سبحانه مباشرة ﴿أَنْ أَشْكُرَ لِي وَلِوَلَدِكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ﴾ (١) ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلَا نَهْرُهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا﴾ (٢) وَأَخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا﴾ (٣)، إذا محبة الوالدين والعشيرة أمر واجب مقدس موافق للفطرة البشرية التي لا يستطيع البشر التخلي عنها، إلا أنها تضعف وتقوى مع ضعف الإيمان وقوته.

(١) سورة لقمان.

(٢) سورة الإسراء.

الفصل الأول

علاقة الآباء بالأبناء والعكس

تقوم هذه العلاقة على أقوى رابطة بعد حقه سبحانه مباشرة، وهي كما تقوم على العاطفة تقوم أيضاً على الواجب الكبير، فبر الوالدين من أوجب الواجبات على المسلم، فلا يقدم بعد حق الله أحداً على والديه أبداً، وإذا لم يرع هذه الصلة الوثيقة فقد يقيض الله له أولاداً يعقونه، كما جاء في الأثر (بروا آباءكم تبركم أبناءكم)^(١) وهذا مشاهد في حياة الأجيال لذلك تقدم على الجهاد الفرض (حينما استأذن رجل الرسول ﷺ في الجهاد فقال: «أحي والداك؟» قال نعم قال: «ففيهما فجاهد»)^(٢) وأكبر الكبائر كما في حديث بكرة في الصحيحين (ألا أنبئكم بأكبر الكبائر ثلاثاً الإشراف بالله وعقوق الوالدين وشهادة الزور)^(٣) وهذا يرجع إلى الأصل ورد الجميل، فالأب والأم هما السبب في وجود هذا الإنسان على هذه الحياة، فعلى الابن أن يرضى هذا الأمر رعاية كاملة وأن يحسن إليهما وهذا هو البر.

الأبوان الكافران:

ولما كانت الأبوة تجاه البنوة رابطة متينة فقد حفظها القرآن الكريم،

(١) الطبراني في الأوسط. ضعفه الألباني.

(٢) متفق عليه. البخاري/ك الجهاد باب الجهاد بإذن الأبوين. مسلم/في البر والصلة.

(٣) في الصحيحين: البخاري/ك شهادات باب ما قيل في شهادة الزور. مسلم/في الأيمان باب الكبائر وأكبرها.